مقدمة

يضم هذا الكتاب مجموعة منتقاه من كتاباتى التى قدمتها خلال الحقبة الأولى من الألفية الثالثة ونشرت فى الصحف المصرية (الأهرام والأهالى والعربى الناصرى ومجلة الدوار وصوت الجامعة) وتراوحت ما بين المقالات وعمود (المسكوت عنه) والتقارير الصحفية والمراثى وسجلت من خلالها انطباعاتى وتعليقاتى وآرائى عن بعض أوجه الحياة المصرية التى أُتيح لى الاحتكاك بها عن قرب سواء بحكم الانتماء الجغرافى والاجتماعى والمهنى أو باعتبارى مواطنة مصرية تتابع باهتمام مشوب بالقلق والتأمل ما يدور فى وطنها الكبير وأوطانها الصغيرة.

وقد اخترت عنوان (المسكوت عنه فى مصر المحروسة) للكشف عن المستور والمهمش والمستبعد عمداً أو بفعل تراكم تاريخى لجماع القيود والمحظورات المجتمعية التى حاصرت ولا تزال تحاصر الشعب المصرى وتحرمه من حقه الأصيل فى حرية التعبير والمشاركة فى صنع قراراته المصيرية وتفرض على المواطن المصرى ستاراً محكماً من التكتم وتدفعه إلى غض الطرف عن التصورات والكوابح والمعوقات التى تكشف عن مظاهر وأسباب الخلل والفساد المجتمعى والجمود الثقافى والتراجع الحضارى.

ويرتبط مفهوم المسكوت عنه بالأمور التى يعرفها أغلب أفراد المجتمع فى زمن ما ولا يجهرون بها بل يتواطئون عن وعى أو غفله فى إحكام ستاراً من السرية والتكتم حولها ويتعرض من يجرؤ ويهتك أستارها للاستهجان والنبذ فى حدوده الدنيا وللقهر والإيذاء الذى يصل إلى حد الاغتيال المعنوى والتصفية المادية

والاجتماعية والتشريد والمطاردة خصوصاً إذا تعلق الأمر بمصالح الفئات المهيمنة فى المجتمع. ويستهدف المسكوت عنه إقصاء الآخر برموزه وقيمه وتقاليده وأفكاره ومصالحه كى يسود فكر وقيم ومصالح هؤلاء الذين يمتلكون زمام الأمور اقتصادياً وسياسياً واجتماعياً وثقافياً ودينياً. وإذا كان التاريخ القديم والحديث والمعاصر يزخر بالعديد من صور وأشكال المسكوت عنه إلا أن أشدها تأثيراً ما يتعلق بالموروثات الثقافية ومنظومة القيم والتقاليد والتفسيرات السلفية للنصوص الدينية التى لا تزال تمارس فاعلية ملحوظة فى مجتمعاتنا العربية رغم غياب مبرراتها.

وفى مصر المحروسة تتعدد صور المسكوت عنه ولا تقتصر على مجال أو فئة اجتماعية أو رقعة جغرافية دون غيرها بل تتغلغل فى كافة مناحى الحياة المعاشة بدءاً بالأسرة والمدرسة والجامعة والنادى والجمعيات الأهلية وسائر المنظمات غير الحكومية وتشمل القرى والمدن والمناطق النائية ويمارسها الفلاحون والمهنيون والأطباء والمحامون والمعلمون والعمال وأساتذة الجامعات والطلاب وربات البيوت ناهيك عن الوزراء وصناع القرار وأعضاء البرلمان والمجالس الشعبية بل والمثقفون ومحترفو العمل السياسى إذ لا تسلم منها فئة اجتماعية أو سياسية أو ثقافية أو دينية وكل منهم يمارسها بطريقته الخاصة.

ورغم تعدد وتنوع صور المسكوت عنه فى مصر المحروسة إلا أنها تتكثف بصورة ملحوظة فى الريف المصرى وعلى الأخص فى صعيد مصر الذى يعانى تاريخياً من العزلة الاجتماعية والتهميش الثقافى والسياسى رغم أنه يحوى معظم كنوز الحضارات المصرية القديمة بدءاً بالفرعونية ومروراً بالقبطية والرومانية والعربية الإسلامية وخرجت منه ديانة التوحيد على يد إخناتون وينتمى إليه كم هائل من الزعامات السياسية والدينية والثقافية الذين أثروا التاريخ المعاصر للمجتمع

المصرى وتركوا بصماتهم على كافة جوانبه الحضارية والاجتماعية والإنسانية. إلا أن العزلة الجغرافية وسياسات التهميش السياسى والإفقار الاقتصادى منحت سطوة استثنائية لمنظومة التقاليد والأعراف والقيم التى ظلت تحاصر أهالى الصعيد جيلاً بعد جيل مما أسهم فى اتساع رقعة المسكوت عنه خصوصاً فى النطاق الاجتماعى والسلوكيات اليومية للأفراد والجماعات فى ذلك الجزء الجنوبى من الوطن. وتشغل المرأة الصعيدية وهمومها وتطلعاتها وانكساراتها التى تتشابك وتتداخل مع هموم الرجل موقع القلب فى منظومة المسكوت عنه. ويبرز المسكوت عنه فى المجال الإعلامى من خلال التركيز على قيم وأفكار ومصالح وسلوكيات الفئات المهيمنة اقتصادياً وسياسياً وثقافياً ودينياً. وعلى الجانب الآخر يتم إسدال ستار التكتم والغموض حول كل ما يتعلق بحقوق الآخرين فى التعليم والعمل والسكن والعلاج خصوصاً حقهم الأصيل فى المعرفة وحرية التعبير تمهيداً لحرمانهم من حقهم فى المشاركة فى إدارة حياتهم بحرية كأفراد وجماعات مما يحولهم فى النهاية إلى كائنات عاجزة عن التفاعل مع ما يدور فى مجتمعهم مكبلين بتركة ثقيلة من المسكوت عنه تفرض عليهم الاستسلام للأمر الواقع والعجز عن البوح وكشف المستور مطوقين بالخوف من المجهول وغياب أى أفق مستقبلى لحياتهم أو محاولة النهوض بها وتصحيح مسارها.

وفى النهاية أهدى هذا الجهد المتواضع إلى الأجيال الجديدة من طلابى وطالباتى بقسم الصحافة وإلى أحفادى أحمد وعمر هشام ثقة وأملاً فى قدرتهم على تجاوز أسوار المسكوت عنه والتعبير بحرية عن محاولاتهم وسعيهم النبيل لصياغة صورة جديدة للمجتمع المصرى أكثر نبلاً وعدلاً.

عواطف عبد الرحمن

البحر الأعظم – سبتمبر ٢٠١٠